جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الرابع والأربعون
الجزء الأول / آب /٢٠٢١

دلالة الحرف على معنى في نفسه عند ابن النّحاس(ت٦٩٨هـ).

الباحث: أحمد يعقوب حميد أ.د محمود حمود عرّاك القرشيّ
كلّيّة التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط

الخلاصة:

هذا البحث يتحدث عن الحرف، وهل الحرف له معنى مستقلّ بنفسه أو لا ؟ فمن المعلوم أنّ الحرف: ما دلّ على معنى في غيره فقط، مثل: (الهمزة) الّتي تدلّ على الاستفهام، و(ليت) الّتي تدلّ على التّمني، و(لعلّ) الّتي تدلّ على التّرجي، و(لَمْ) الّتي تدلّ النّفي، ولكن معاني هذه الحروف محتاجٌ ومفتقرٌ إلى ضميمة خارجية .هذا ما اتفق عليه النّحويون غير أنّ ابن النّحاس خالف الجمهور برأي جديد فزعم أنّ الحرف يدلّ على معنى في نفسه، ودليلُهُ أنَّ المُخاطَب بـ(هل) مثلاً يفهم منها معنى الاستفهام؛ لأنَّهُ يعلم أَنَّ (هل) موضوعة في أصل اللّغة للاستفهام ، وكذلك(لعلّ) موضوعة للترجي و(ليت) للتمني وكذا بقية الحروف ؛لأنَّهُ يفهم ذلك اعتمادًا على فهمه للغته .

الكلمات المفتاحيّة: ابن النحاس، دلالة، الحرف، على معنى، في نفسه.

The meaning of the letter on the meaning in itself according to Ibn al-Nahas (d.698 AH)

Ahmed Yaqoub Hamid / Prof. Mahmoud Hammoud Arak Al-Qurashi
College of Education / Wasit University
ahmdyqwbalmyahy@gmail.com

Abstract:

The letter in the language : the edge, the margin , the side and the boundary.
The letter : is the edge of something
The letter is everything : its side, its verge , and its boundary
In grammar a letter can be defined as : a word that refers to meaning
For example Alhamza for interrogative, (from An) , (wish Layta) ,
(May be Lala) and (but Lakin) called letters of meaning and grammarians in symbols of letters on the meaning for Ibn Alnahas, the letter refers to the meaning of itself

ابْنُ النّحاس هو بهاءُ الدّين بن النّحاس مُحَمَّد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن أبي نصر الشَّيْخ الْأَمَام الْعَلامَة حجَّة الْعَرَب بهاء الدّين أَبُو عبد الله بن النّحاس النَّحْوِيّ شيخ الْعَرَبيَّة، ولد سنة(٦٢٧هـ) ، لَمْ يكن مَنْ هو أَكثرَ سَمَاعاً مِنْهُ لكتب الْأَدَب، وَتفرَّد بِسَمَاع صِحَاح الْجَوْهَرِي، سمع من ابْن اللتي والموفق بن يعِيش النَّحْوِيّ وَأبي الْقسم ابْن رَوَاحَة وَابْن خَلِيل ووالده، وَأخذ الْعَرَبيَّة عَن الْجمال ابْن عمرون، وليَ تدريس التَّفْسِير بالجامع الطولوني، وَأمّا علمُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ فإليه الرّحلة من الأقطار، وَمِنْ فوائدِهِ تدْركُ الْأَمَانِي وتُنالُ الأمطار، قد اتقن النَّحْو وتصريفه وَعَلِمَ حدَّ ذَلِك ورسمَهُ وتعريفَهُ، وَلَمْ يصنّف شَيْئًا إِلَّا مَا أملاه شرحًا لكتاب المقرّب ، مات سنة (٦٩٨هـ).(**ينظر: الوافي بالوفيات ١٠/٢ـ ١١، وبغية الوعاة ١٣/١ والبحر المحيط ٣١٧/١).**

اتفق النّحويّون على أنَّ الكلمة ثلاثةُ أقسامٍ، وهذا التّقسيم مصدرُهُ الاستقراءُ والعقلُ اللّذان يدلانِ على أنَّ الكلمة :**(إمّا اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ)** ولا رابع لهذه القسمة الثّلاثية. (**تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ١٣٦/١)**.وإلى هذا أشارَ **البقاء أبو العكبريّ**(ت٦١٦هـ)، فقال :" إِنَّمَا عُلِمَ كَونُ الْكَلِمِ ثَلَاثًا فَقَط من وَجْهَيْن أَحدهمَا أَن الْكَلَام وُضِعَ للتّعبير عَن الْمعَانِي والمعاني ثَلَاثَةٌ: معنى يُخْبَرُ بِهِ وَمعنى يُخْبَرُ عَنهُ وَمعنى يرْبطُ أَحدهمَا بِالْآخرِ فَكَانَت الْعبارَات عَنْهَا كَذَلِك، الثَّانِي أَنَّهم وجدوا هَذِه الْأَقْسَام تُعبّر عَن كُلِّ معنى يخْطر فِي النَّفس وَلَو كَانَ هُنَاكَ قسمٌ آخرُ لَمْ يُوقف عَلَيْهِ لَكَانَ لَهُ معنى لَا يُمكن التَّعْبِير عَنهُ " **(اللباب في علل البناء والاعراب ٤٣/١)**

ثُمَّ إنَّهم عرَّفوا الاسم بأنَّهُ: " ما دلّ على معنى في نفسِهِ دلالةً مجرّدةً عن الاقتران. وله خصائصُ منها جوازُ الإسناد إليه، ودخولُ حرفِ التّعريف والجرّ، وكذلك التنوينُ والإضافةُ.**(ينظر: المفصل ٢٣،و علل البناء والاعراب ٤٥/١، وأمالي ابن الحاجب ٨٣٦/٢، والكافية في علم النحو ١١)**

ودلالةُ الإفرادِ حاضِرةٌ في معنى الاسم عند **ابْنِ السّرّاجِ** (ت٣١٦هـ)؛فلذا قال في حدّهِ:" ما دلَّ على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصًا وغيرَ شخص فالشّخصُ نحو: رجل وفرس وحجر وبلد وعمر وبكر. وأمّا ما كان غيرَ شخص فنحو: الضّرب والأكل والظّن والعلم واليوم واللّيلة والسّاعة" **(الأصول في النحو ٣٧/١)**

أمَّا الفِعْلُ فعرفوه بأنَّهُ " ما أُسِندَ إلى غيرِهِ ولم يُسنَدْ غَيْرُهُ إليه "**(اللباب في علل البناء والإعراب ٤٨/١).**

قال **ابْنُ السّرّاج** :" الفِعْلُ: ما دلّ على معنى وزمانٍ، وذلك الزّمانُ إمّا ماضٍ وإمّا حاضرٌ وإمّا مستقبلٌ"**(الأصول في النحو ٣٨/١)**

أو هو " مَا دلّ على معنىً فِي نَفسِهِ مقترنٍ بِأحد الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ"**(شرح شذور الذهب لابن هشام ١٨)**

أما حدُّ الحرفِ فإنَّهم قد اتفقوا على أَنَّهُ" مَا دلّ على معنىً فِي غَيرِهِ فَقَط"**(اللباب في علل البناء والإعراب ٥٠/٢)**،وبعضُ عباراتهم تخلُو من لفظة **(فقط)** كما سيمرُّ علينا.

ولعلّ أقدمَ نصٍّ وصلَنَا يشير إلى هذا المعنى هو ما رواه **ياقوت** وغَيْرُهُ من خبر **الإمام عليٍّ(عليه السلام)** مع **أبي الأَسْودِ الدؤليّ**(ت٦٩هـ) في سبب وضع النّحو، وما ألقاهُ في تلك الصّحيفة إلى أبي الأَسْود وممّا جاء فيها "... **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** الكلامُ كُلُّهُ اسْمٌ وفِعْلٌ وحرفٌ، فالاسمُ ما أنبأَ عن المسمَّى، والفِعْلُ ما أنبأَ عن حركة المسمَّى، والحرفُ ما أنبأَ عن معنى ليس باسم ولا فعل،..."**(معجم الأدباء ١٨١٣/٤)**

ومن اللَّطِيفِ أَنْ نَجِدَ **سِيْبَوَيْه** (ت١٨٠هـ) قد عبَّر عن الحرف بأنَّه" جاء لمعنًى ليس باسم ولا فعل." عِنْدَ تقسيمِهِ الكلم إلى اسم وفعل وحرف ،ومثَّل له بـ " ثُمَّ، وسَوْف، وواو القسم ولام الإضافة" **(ينظر: الكتاب ١٢/١)**

مع ذلك فإنّهُ يبقى الفرقُ في المعنى بين الحرف وبين ما يقابلُهُ من الاسم والفعل غيرَ واضحٍ في نصّ **سِيْبَوَيْه.(ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين ٢٠٠)**

وجاء في تعريف **أبي القاسم الزجاجيّ** (ت٣٣٧هـ) للحرف بأنَّهُ:" ما دلّ على معنى في غَيْرِهِ، نحو **(مِن وإلى وثُمَّ)** وما أشبه ذلك."**(الايضاح في علل النحو ٥٤ـ ٥٥)**

ويبيّنُ **الزجاجيّ** معنى: أنّهُ يدلّ على معنى في غَيرِهِ مع أنّ معنى(مِن) في الظّاهر تدلّ على التبعيض في نفْسِهَا بقوله:"(مِنْ) تدخلُ في الكلام للتبعيض، فهي تدلّ على تبعيض غيرِهَا، لا على تبعيضِهَا نفسِهَا، وكذلك إذا كانتْ لابتداء الغاية، كانت غاية غيرها. وكذلك سائر وجوهها. وكذلك (إلى) تدلّ على المنتهى، فهي تدلّ على منتهى غيرِهَا، لا على منتهاهَا نفسِهَا، وكذلك سائر حروف المعاني"**(الإيضاح في علل النحو ٥٤ـ ٥٥)**

ثُمَّ ذكر بعض تعريفات النّحويّين للحرف من أنّهُ " ما خلا من دليلِ الاسمِ والفعلِ " وقال آخرون:" الحرف ما لا يستغني عن جملة يقومُ بها نحو: لَنْ يقومَ زَيْدٌ، وما خَرجَ بكرٌ، وإنَّ أخاك شاخصٌ، وإنَّ

مُحمَّدًا في الدّارِ. لا بُدَّ أنْ يكونَ بَعْدَهُ إسمان، أو اسمٌ وفعلٌ، أو اسمٌ وظرفٌ" واعترضَ على هذه التّعريفات بقولِهِ :" وهذا وَصْفٌ للحرف صحيحٌ ليس بحدٍّ له".**(الايضاح في علل النحو ٥٤ـ ٥٥)**

وتابعَ **ابن الورّاق** (ت٣٨١هـ) ، الجمهور، فقال: "وَأَمّا الْحَرْفُ: فحدُّهُ: مَا دلّ على معنى فِي غَيرِهِ، نَحْو قَوْلك: أخذتُ دِرْهَمًا مِن مَالِ زَيْدٍ، فـ(مِن) تدخل للتَّبْعِيض لِلْمَالِ، وَالْبَعْض هُوَ الدِّرْهَم من المَال. وَإِن شِئْت اعتبرته بامتناع حدّ الِاسْم وَالْفِعْل مِنْهُ، أَو بامتناع خواصهما مِنْهُ." **(علل النحو ١٤٢)**

وقال **ابن جِنّي**(ت٣٩٢هـ) : "والحرف مَا لَمْ تحسن فِيهِ عَلامَةٌ مِنْ عَلَامَات الْأَسْمَاء وَلَا عَلَامَات الْأَفْعَال وَإِنَّمَا جَاءَ لِمَعْنى فِي غَيره نَحْو هلْ وبلْ وَقد، لَا تَقول: من هلَ وَلَا قد هلَ وَلَا تَأمر بِهِ "**(اللّمع في العربية ١٦)**

وذكر **الزّمخشريّ** (ت٥٣٨هـ) أنَّ الحرف "ما دلّ على معنى في غيره". **(المفصّل ٣٨٤)**،وأنّهُ لا يستغني عن اسْمٍ أو فعلٍ يَصْحبُهُ ،أيْ: أنّهُ "لا يدلّ على معنى إلَّا في غيره، فيحتاج إلى ما يكون معه ليفيده معناه فيه". وقد يفارقانه أيْ: الاسم والفعل في مواضعَ محدّدةٍ يُحذَفُ فيها الفعل**(المفصل ٣٨٤)**،ويُكتفَى بالحرف فيجري مجرى الثّابت ،فإذا قِيلَ: هَلْ خَرجَ زَيْدٌ ؟ فقلتَ : نعم، فمعناه: نعم، خَرجَ زَيْدٌ. فهذا الفائدة المتحقّقة ليس من الحرف إنّما هي حاصلة من تقدير المحذوف كما بيَّنّا.**(ينظر: التخمير ٣/٤،وشرح المفصل لابن يعيش ٤٥٢/٤)**

واعترض عليه **ابن الحاجب**(ت٦٤٦هـ) لقصرهِ الحذفِ على الفعل فقط، وذكر أنّ هناك مواضعَ يُحذَفُ فيها الاسم كما أنَّ هناك مواضعَ يُحذَفُ فيها الفعل وأنَّ "جعله المحذوف فعلًا فقط ليس بمستقيم"**(ينظر: أمالي ابن الحاجب ٣٥٤/١)**.

وقال **السّهيليّ**(ت٥٨١هـ) : " والْحَرْفُ: ما دلّ على معنى في غيره .وذلك الغير إمّا اسمٌ وإمّا فعلٌ، وليس للحرف معنى في نفسه، وأمّا الّذي له معنى على الحقيقة هو الاسم، ومِن ثُمَّ وجب أَنْ لا يكونَ عاملًا في غَيْرِهِ على الحقيقة، ووجب أنْ يكونَ الحرف عاملًا في كُلِّ ما دلّ على معنى فيه، لأنَّ الألفاظ تابعة للمعاني، فكما تشبث الحرف بما دخل عليه معنى، وجب أنْ يتشبث به لفظًا، وذلك هو العمل..."**(نتائج الفكر ٥٩)**.

واعترض **ابن هشام** (ت٧٦١هـ)على تعريف النّحويّين للحرف ،فقال: " وَأَمَّا قَول كثير من النَّحْوِيّين الْحَرْف مَا دلّ على معنى فِي غَيْرِهِ فمنتقضٌ بأسماءِ الشَّرْط وَأَسْمَاء الِاسْتِفْهَام وَالصَّوَاب أَن يُقَال مَا دلّ على معنى فِي غَيْرِهِ **فَقَط**، كَمَا قَالَ الْجُزُولِيّ وَغَيرُهُ من الْمُحَقِّقين" **(رسالة المباحث المرضية٣٤)**.

فهذه طائفة مختارة من أقوال النّحويّين قد رأيناهم فيها أنّهُم مجمعون على أنَّ الحرف لامعنى له إلَّا في غَيْرِهِ ، وذكر ذلك السّيوطيّ أيضًا(ت٩١١هـ) إذْ قال" وَمَا ذَكرْنَاهُ من أَن الْحَرْف لَا يدل على معنى فِي نَفسه هُوَ الَّذِي أجمع عَلَيْهِ النُّحَاة"**(همع الهوامع ٨/١)**

وقد خالفهم في ذلك وخرق إِجْمَاعَهُمْ الشّيخُ بهاء الدين بن النَّحاس(ت٦٩٨هـ) فقد زعم أَنَّ الحرف له معنى في نفسه، ودليلُهُ أنَّ المُخاطَب بـ(هل) مثلاً يفهم منها معنى الاستفهام؛ لأَنَّهُ يعلم أَنَّ (هل) موضوعة في أصل اللّغة للاستفهام ، وكذلك(لعلّ) موضوعة للتّرجي و(ليت) للتّمني وكذا بقية الحروف ؛لأَنَّهُ يَفهمُ ذلك اعتمادًا على فهمه للغته**(همع الهوامع ٨/١]**.

قال **ابن النَّحاس**(٦٩٨هـ) في التّعليقة :" والأخرى أَنْ يقولوا :الحرف لفظ يدلّ على معنى في غيره، وهذه العبارة أقرب إلى التّحقيق من الأولى ،لأنَّ قولهم إنّه يدلُ على معنى في غيره لا ينفي أنْ يكون له معنى في نفسِهِ بخلاف العبارة الأولى ،والحقُّ أنَّ الحرف له معنى في نفسِهِ، " **(التعليقة على المقرّب ٦١ـ ٦٢)**

فالنَّحاس ـ كما هو واضح من كلامه ـ يرى أنَّ الحرف له معنى في نفسِهِ ودليلُهُ أنَّ المُخاطَب بـ(هل) يفهم منها معنى الاستفهام؛ لأنّهُ يعلم أن (هل) موضوعة في أصل اللُّغة للاستفهام ،وكذلك(لعلّ) موضوعة للتّرجي و(ليت) للتّمني وكذا بقية الحروف ؛لأنَّه يفهم ذلك اعتمادًا على فهمِهِ للغته.

ثُمَّ بيَّن الفرق بين معنى الاسم والفعل، ومعنى الحرف، فالاسم والفعل يُفْهَمُ معناهما قبل التّركيب، أيْ: قبل أَنْ يتركبا في جملة مفيدة، مثلًا:(مُحَمَّد) يُفْهَمُ منه الإنسان المُسمَّى بهذا الاسم المجرّد من الزّمان، وكذا (قام) مثلًا يُفهَمُ منه ذلك الفعل المقترن بالزّمان الماضي، بخلاف الحرف الّذي يكون معناه أتمَّ في حال التّركيب منه في حال الإفراد.

وتابعه في ذلك تلميذه **أبو حيّان**(ت٧٤٥هـ) في كتابه (التذييل والتكميل) وذكر ذلك **ابن هشام** (ت٧٦١هـ) **(ينظر: شرح المحة البدرية ٢٥٠)**.

ولكن الظّاهر من كلام **أبي حيَّان** أنّهُ لَمْ يقطع بذلك، والموضوع عنده يحتاج ـ كما قال ـ إلى دقيق فكر ونظر ،وذلك أنّ التّعريف الّذي ذكره النّحويون للحرف غَيْرُ واضحٍ لديهِ ،لأنّهُم عندما عرّفوا الحرفّ قالوا " إنَّ الحرف يدلُّ على معنى في غيرِهِ".

وقد يكون منشأ اعتراض أبي حيَّان بسبب أنّ معنى الحرف قد يُفهَم في نفسه ،و يتبادر إلى ذهن العالم بمفردات اللُّغة، ذلك أنّ" قولك: كأنَّ ولعلّ، كُلُّ منهما إذا ذُكِرَ للعالم بالوضع فَهِمَ مِنْ

(كأنَّ) التّشبيه، ومِنْ(لعلّ) التّرجي. وكذلك (هل)، يُفهم منه الاستفهام، وذلك كفهمه من (ضَرَبَ) الفعل الماضي، ومِنَ الْكشح أنَّ معناه الحصر، فيحتاج إلى مُميز واضح يُميز دلالةَ الحرف مِنْ دلالة الاسم والفعل"**(التذييل والتكميل ١/ ٥٠)**

وهذا الّذي جعله يختار القول الرّاجح عند المُحَقِّقين من أنّ الحرف يدلّ على معنى في غيره فقط ، قال :"وأحسنُ ما قِيلَ في حدّ الحرف: "الحرف كلمة دالة على معنى في غيرها فقط". **(التذييل والتكميل ١/ ٥٠)**

ونراه يعقب على كلامه السّابق بقوله: فقولُنا (كلمة) جنس يشمل الاسم والفعل والحرف، وقولُنا: (دالة) على معنى في غيرها احترازٌ من الاسم والفعل. وقولُنا: (فقط) احترازٌ من أسماء الشّرط والاستفهام، فإنّها تدلّ على معنى في غيرها، لكنّها مع ذلك تدلّ على معنى في نفسها"**(التذييل والتكميل ١/ ٥٠)**.

ومُرادُ النّحاس من قولِهِ :"الفرق بينهما أَنَّ كُلّ واحد من الاسم والفعل يُفهَمُ منه في الإفراد ما يُفهَمُ منه عند التّركيب بخلاف الحرف، لأنَّ المعنى المفهوم من الحرف في حال التّركيب أتمُّ مِمَّا يُفهَم منه عند الإفراد"**(التعليقة على المقرّب ٦١)**: أي: "إنّ الكلمة إنْ فُهِمَ تمامُ معناها بمجرد ذكر لفظها من غير ضميمة فهي المُعبَّر عنها بأنَّ لها معنى في نفسها، وإنْ كان فَهْمُ تمامِ معناها متوقفًا على ضميمة فهي المُعبَّر عنها بأنَّ معناها في غيرها**(الجنى الداني٨٦، وينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٤٤٧)**

واذا دققنا النّظر وجدنا النّحويّين يرَوْنَ أنّ تصوُّر معنى الاسمِ والفِعْلِ في الذّهن غَيْرُ متوقّفٍ على شيْء خارجٍ عنهما فإذا قلنا (زيد) فانَّهُ يدلُّ على معنى في نفسه بدون ضميمة شيْء آخر، أو قولنا (جلس) فانّهُ يدلّ على معنى في ذاتِهِ . و أمّا تصوُّر معنى الحرف متوقّف على ضميمة أمر آخر عنه، فمُجْملُ القولِ عند النّحويّين " أنَّ المعنى المدلولَ عليه بأحرف ... لا يقومُ بلفظِ الحرف وإنّما يقومُ بما يتعلّق به الحرفُ مِن الأسماء والأفعال، فدلالةُ (مِنْ) على الابتداء و(سوف) على التّسويف و(قد) على التّحقيق و(ثُمّ) على التّراخي و(الفاء) على التّرتيب ،إنّما هو في معاني ما ترتبط به هذه الأحرف مِن ألفاظ الجملة لا في نفس الحرف "**(البحث النحوي عند الأُصوليين ٢٠٢)**

ويرى الدّكتور **مُصْطَفى جمال الدّين** أنَّ ما ذهب إليه ابن النّحاس" ينتهي إلى أنَّ الحرف له معنى ولكنّه في الوقت نفسه لا ينتهي إلى أنَّ هذا المعنى مستقل في نفسه". ويعلّل ما ذهب إليه بأنَّ المعنى على نوعين : معنى إفراديٌّ مستقلٌ، وآخرُ تركيبيٌّ غَيْرُ مستقلٍ، أمّا المعنى الإفراديّ المستقلّ

وهو تلك الصّورة الّتي تحضر وترتسم في ذهن الإنسان كصورة الجدار أو الفرس أو الابتداء عند سماع اللفظ منفردًا، أيْ: خارج الجملة أو التّركيب، سواء عَلِمَ أنّ هنا لفظًا وُضِعَ لذلك المعنى أم لَمْ يَعْلَمْ ،ولكنَّ فائدةَ علمِهِ بالوضع أنَّهُ عند سماعِهِ كلمةِ (فرس) مثلًا تحضر تلك الصّورة المستقلّة في ذهنِهِ، وهذا الحضورُ إنّما يكون مستقلًا لا بضميمة شيْء آخر إليها.

والمعنى التّركيبيّ فهو: المعنى الّذي لا يحضر في الذّهن في حال الإفراد إنّما يحضر في حال التّركيب ضمن جملة ويحتاج إلى ضميمة خارجية يتَوَقَّفُ فَهْمُ معناه على تلك الضّميمةِ ،مثلًا: لفظة (مُحَمَّد) يُفْهَمُ منه معنى الفاعلية في حال قلنا:(قَامَ مُحَمَّدٌ) ولكن (مُحَمَّد) في حالِ كونِهَا مجرّدةً لا يُفْهَمُ منها هذا المعنى ، وهكذا في (هل) فإنّها مفردة لا يُفْهَمُ منها إلّا معنى الاستفهام ، ولكنّها لو رُكِبَتْ فقلنا : (هَلْ قَامَ مُحمَّدٌ؟) فإنَّهُ يُفْهَمُ منها معنىً آخرُ وهو "قيام مُحمَّد مستفهم عنه" وهو معنىً لا يتحقّق في حال الإفراد ‘إنّما يُفْهَمُ في حال التّركيب ،ووجود ضميمة خارجية .يعني هذا أنَّ (هَلْ) وُضِعَتْ لغرض الاستفهام إذا كانت ضمن التّركيب لا للاستفهامِ بشكلٍ مُطْلقٍ مُسْتقلٍ ،لأنَّها لو كانت للاستفهام المطلق المستقلّ لكانتْ (هل) اسمًا يرادفُ كلمةَ الاستفهامِ"(**البحث النحوي عند الأُصوليين ٢٠٢ــ ٢٠٥**).

وجعل **جمال الدين** (هل) وغيرَهَا من الحروف من المستوى الثّاني، فمثلًا لو قلنا (هَلْ قَامَ مُحمّدٌ) فإنَّا نعلم أنّ قيامَ مُحمّدٍ مستفهمٌ عنه من ضمن الجملة والتّركّب، لا من (هل) مفردةً، فإنَّها وَحْدَهَا لا يُفْهَمُ منها هذا المعنى، بل أنَّ معنى الاستفهامِ غَيْرُ مفهومٍ منها مفردةً؛ لأنّ صورةَ الاستفهامِ لا ترتسمُ في الذّهن من سماع لفظة (هل) وَحْدَهَا . بخلاف لو سمعنا كلمة الاستفهام أو استفهم ؛ذلك لأنّ كلمة (هل) تدلّ بالوضع على الاستفهامات الخاصّة مثل "الاستفهام عن قيام محمّد أو جلوس عمرو، أيْ: وضعت للدّلالة على الاستفهام في حالِ كونِهِ (معنىً تركيبيًا) وليس للاستفهام المطلق المستقلّ بمعناه وإلا لكانتْ اسمًا مرادفًا لكلمة الاستفهام"(**البحث النحوي عند الأُصوليين ٢٠٢ــ ٢٠٥**).

ثُمَّ ينتهي **السّيّد مُصْطَفى جمال الدّين** إلى أنّ الحروف لا تدلّ على معنى في نفسها‘ مضعفًا مقالةَ ابْنِ النّحاس[**ينظر: البحث النّحويّ عند الأصوليّين ٢٠٤ــ ٢٠٥**].

والظّاهر أنّ **ابن النّحاس وأبا حيَّان** تأثرا إلى حدٍّ كبير بما أورده **أبو عليّ الفارسيّ(ت٣٧٧هـ)** وإشكاله على تعريف السّابقين للحرف مِن أنّهُ يدلّ على معنى في غيره. قال **أبو عليّ الفارسيّ** كما نقل عنه **ابن يعيش** (ت٦٤٣هـ) " قال **أبو علي الفارسيّ:** مَن زعم أنَّ الحرف ما دلَّ على معنى في

غيره، فإنّه ينبغي أنْ تكونَ أسماءُ الأحداثِ كلُّها حروفًا؛ لأنَّها تدلّ على معانٍ في غيرها، فإنْ قال: فإنَّ القيام يُتوهّم منفردًا من القائم، قيل له: فإنَّ الإلصاق والتعريف الّذي يدل عليهما باءُ الجرّ ولامُ المعرفة قد يُتوهّمان منفردَيْن عن الاسمَيْن..." **(شرح المفصل لابن يعيش ٤/٤٤٨)**.

والمفيدُ ذكرُهُ ههنا أنّ السّيّد **علاء بحر العلوم** وغيرَهُ مِن الأصوليّين يرَوْنَ أنّ **المحقّق الرّضي**(ت٦٨٦هـ) قد ذهب إلى نقيض ما ذهب إليه ابن النّحاس**(ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين ٢١٢، ومن تجارب الأصوليّين ٦٣)** ووصفه بحر العلوم بأنّهُ "في حدّ التّفريط" وذلك أَنَّ الرّضي قال حسب قوله:" إنّ الحروف ليس لها معنى أصلًا، وإنّما جِيءَ بها في الكلام علامةً على وجود خصوصية في المقام، فهي كالإعراب مِنْ هذه الجهة، فكما أنَّ الرّفع، والنّصب، والجرّ لا يُستفاد منها كمعانٍ، وإنّما هي قرينة على وجود خصوصية في مدخولها يشير إليها كالفاعلية والمفعولية، فكذلك الحروف..."**(مصابيح الأصول ج١/٦٩ ـ ٧٠)**.

ونسب كثير من الأصوليين منهم صاحب المقالات الغريّة **(ينظر: البحث النحوي عند الأصوليّين ٢١٢)** هذا الرأي **للمحقّق الرّضي** ،ولكن عبارة الرّضي في شرح الكافية غير ما نُسِب إليه ،فقد قال:" الحرف كلمة دلتْ على معنى ثابت في غيرها" **(شرح الرضي على الكافية ١/٢٧)**.

وقال في موضع آخر:" إنّ معنى (مِنْ) الابتداء، فمعنى (مِنْ) ومعنى لفظ الابتداء سواءٌ، إلا أَنّ الفرق بينهما أنّ لفظ الابتداء ليس مدلوله مضمون لفظ آخر، بل مدلوله معناه الذي في نفسه مطابقة، ومعنى (من) مضمون لفظ آخر يُضاف ذلك المضمون إلى معنى ذلك اللفظ الأصلي.... فالحرف وَحْدَهُ لا معنى له أصلًا، إذْ هو كالعلم المنصوب بجنب شيْء ليدلَّ على أَنّ في ذلك الشّيْء فائدةً ما، فإذا انفرد عن ذلك الشّيْء بقي غيرَ دالٍ على معنى أصلًا، ..." **(شرح الرضي على الكافية ١/٢٧)**.

وقد أوضح السّيّد **مُصْطَفى جمال الدّين** هذه الحقيقة ودفع عن الرّضي ما نُسِبَ إليه ،فقال : "ونسبوا إلى **الرّضي** أنّه قال :" إنَّ الحرف لا معنى له أصلًا وإنَّما هو كالعلم المنصوب بجنب شيْء ليدلَّ على أنَّ فيه فائدةً ما . مع أنَّ الرضي لَمْ يذهبْ إلى إنكار معنى الحرف ولا إنكار دلالته ، وإنَّما قال: إنَّ الحرف كلمة دلتْ على معنى ثابت في لفظ غيرها. وإنَّ معنى (مِنْ) ومعنى لفظ الابتداء سواءٌ ، إلَّا أنَّ الفرق بينهما: أنَّ لفظ الابتداء ليس مدلوله مضمون لفظ آخر .. ومعنى (مِنْ) مضمون لفظ آخر فيُضاف ذلك المضمون إلى معنى ذلك اللّفظ الأصلي. ولَمْ يقل الرّضي: إنَّ الحرف لا معنى له أصلًا . كما نسبوا إليه ،وإنَّما قال :فالحرف وَحْدَهُ لا معنى له أصلًا. فحُذِفتْ كلمةُ (وَحْدَهُ)

الّتي تُشكل فارقًا بين رأيِهِ ورأيِهم وأُقْتطِعَ مِن النّص الّذي نقلوه عنه ما يوضح هذا الرأي ..." **(البحث النّحويّ عند الأصوليّين ٢١٤ـ ٢١٥)**.

وناقش السيد **محمّد تقي الحكيم** أصحابَ هذا الرأي ونقل كلام الرّضي كاملًا بلا اقتطاع، وتوصّل إلى الحقيقة الّتي توصّل إليها **جمال الدّين** وهي أنّ عبارة الرّضي نُقلِتْ مقطوعة، ممّا سبب توهّمًا "وموضع التوهّم في هذا النّص تشبيهه الحرف بالعلم المنصوب بلحاظ أنّ كلًا منهما لا معنى له أصلًا" **(من تجارب الأصوليّين ٦٤)**.

ورأى أن هذا التوهّم سببه هو نقل النّص مبتورًا، وأنه قُرِأ منفردًا عن سابقه ولكن لو أنّنا وضعنا ما حذفوه في مكانه المناسب ـ كما في أصل عبارة الرّضي ـ لارتفعَ التوهّم وظهر في التّشبيه وجهٌ آخرُ ، ذلك أنّ الرّضي" في الوقت الّذي يرى فيه أن للحرف معنى يرى أنّ معناه قائمٌ في الغير وليس للفظِهِ استقلالٌ في الدّلالة عليه فلو جِيءَ بالحرف منفردًا لانعدمتْ دلالتُهُ كالعلم ، فوجهُ الشّبه بينه وبين العلم خلوه من المعنى عند الانفراد لا مطلقًا كما تُصرِّحُ به كلمتُهُ "فالحرف وَحْدَهُ لا معنى له أصلًا" تأملوا كلمة وَحْدَهُ ففيها يندفع ذلك التوهّم" **(من تجارب الأصوليّين ٦٤)**.

ثُمّ إنَّه جزم بأنّ القول " بأنَّ الحرف لا معنى له لا نعرف له قائلًا" **(من تجارب الأصوليّين في المجالات اللغويّة ٦٤)**.

الخاتمة:

١ـ كشف البحث أنّ تعريف الحرف عند كثير من النّحويّين هو "مَا دلّ على معنى فِي غَيرِهِ"، كقَوْلك: أخذتُ دينارًا مِن مَالِ عمرٍو، فإنّ(مِن) تدخل للتَّبْعِيض لِلْمَالِ، وَالْبَعْض هُوَ الدّينار من المَال.

٢. أثبت البحث أن التّعريف السّابق لْلْحَرْف منتقضٌ ومعارض بأسماءِ الشَّرْط والِاسْتِفْهَام، لأنّها أيضًا تدلّ على معنى في غيرها، وَالصَّوَاب أَن يُقَال مَا دلّ على معنى فِي غَيْرِهِ فَقَط، كَمَا قَالَ أبو مُوسَى الْجُزُولِيّ وابن هشام الأنصاري وَغَيرُهُما من الْمُحَقّقين.

٣ـ أظهرت الدراسة أنّ الشّيخَ ابْنَ النَّحاس خالف النّحويّين في أنَّ الحرف لا يدلّ على معنى في نفسه وخرق إجماعهم في ذلك، فزعم أَنَّ الحرف له معنى في نفسه، ودليلُهُ أنَّ المُخاطَب بـ(هل) مثلاً يفهم منها معنى الاستفهام؛ لأنَّهُ يعلم أَنَّ (هل) موضوعة في أصل اللّغة للاستفهام ، وكذلك(لعلّ) موضوعة للترجي و(ليت) للتمني وكذا بقية الحروف ؛لأنَّهُ يفهم ذلك اعتماداً على فهمه للغته.

٤ـ ذهب الدّكتور مُصْطَفى جمال الدّين أنَّ ما ذهب إليه ابن النّحاس" ينتهي إلى أنَّ الحرف له معنى ،ولكنّه في الوقت نفسه لا ينتهي إلى أنَّ هذا المعنى مستقل في نفسه". ويعلّل ما ذهب إليه بأنَّ المعنى على نوعين : معنى إفراديٌّ مستقلٌ، وآخرُ تركيبيٌّ غَيْرُ مستقلٍ.

٥ـ توصلت الدّراسة أنّ الحروف لا تدلّ على معنى في نفسها، لأنّ النّحويّين يرَوْنَ أنّ "تصوُّر معنى الاسمِ والفِعْلِ في الذّهن غَيْرُ متوقّفٍ على شيْء خارجٍ عنهما فإذا قلنا (زيد) فانَّهُ يدلُّ على معنى في نفسه بدون ضميمة شيْء آخر، أو قولنا (جلس) فانّهُ يدلّ على معنى في ذاتِهِ . و أمّا تصوُّر معنى الحرف متوقّف على ضميمة أمر آخر عنه"، فمجملُ القولِ عند النّحويّين " أنَّ المعنى المدلولَ عليه بأحرف ... لا يقومُ بلفظِ الحرف وإنّما يقومُ بما يتعلّق به الحرفُ مِن الأسماء والأفعال، فدلالةُ (مِنْ) على الابتداء و(ثُمّ) على التّراخي و(الفاء) على التّرتيب ،إنّما هو في معاني ما ترتبط به هذه الأحرف مِن ألفاظ الجملة لا في نفس الحرف.

المصادر المراجع

١. الأُصول في النّحو: أبو بكر محمّد بن السّري بن سهل النّحويّ المعروف بابن السّراج (ت ٣١٦هـ)، تح: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ ،١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

٢. أمالي ابن الحاجب: أبو عَمْرو عثمان بن الحاجب(ت ٦٤٦هـ)، تح: الدكتور فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار– الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩ م.

٣. الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزجاجيّ (ت ٣٣٧هـ)، تح : الدكتور زكي المبارك، دار النفائس ، بيروت ، ط١، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م، ط٦، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

٤. الكافية في علم النحو: ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (ت ٦٤٦ هـ)،تح: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٠ م

٥. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ،الملقب بسيويه(ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٦. البحث النّحويّ عند الأصوليّين: مصطفى جمال الدّين، دار الهجرة، قم ، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٧. البحر المحيط في التفسير: أبو حيّان أثير الدّين محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح : صدقي محمّد جميل، دار الفكر ، بيروت،١٤٢٠ هـ.

٨. بُغية الوُعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة : جلال الدّين عبد الرحمن السّيوطيّ (ت٩١١هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.تح: الدكتور مازن المبارك ،دار ابن كثير – دمشق / بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

٩. التذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حَيَّان الأندلسيّ(ت ٦٥٤ –٧٤٥ هـ)، تح: الدّكتور حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ، الرّياض، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

١٠. التّعليقة على المقرّب : شرح العلّامة ابن النّحاس على مقرّب ابن عصفور في علم النّحو، تح: الدكتور: جميل عبد الله عويضة، وزارة الثقافة ، عمّان ،١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

١١. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد : محبّ الدّين محمّد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش(ت٧٧٨هـ)، تح: الدّكتور عليّ محمّد فاخر وآخرون، مطبعة دار السّلام ، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٢. شرح المفصّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير: صَدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزميّ، تح: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت ، ١٩٩٠.

١٣. شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق وتعليق :يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط١، ١٣٩٨ق ـ ١٩٧٨م.

١٤. شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب: أبو محمّد جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النّحويّ(ت ٧٦١هـ)، تح: محمّد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥. شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية: الدكتور هادي نهر، دار اليازوري العلميّة، عمان ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

١٦. شرح مفصّل للزمخشريّ: أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمّد بن علي ، موفق الدّين الأسديّ الموصليّ المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، قدّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٧. علل النحو: أبو الحسن محمّد بن عبد الله، ابن الورّاق (ت ٣٨١هـ)، تح: محمود جاسم محمّد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض ، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

١٨. اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت٦١٦هـ)، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

١٩. اللُّمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٢هـ)، تح: الدكتور سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان م١٩٨٨م.

٢٠. المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ) ،تح: مازن المبارك، دار ابن كثير – دمشق / بيروت،ط١،١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢١. مصابيح الأصول: السيد علاءالدين بحر العلوم ،دار الزهراء ،ط٣، ١٤٣١هـ ٢٠١٠.

٢٢. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب =: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ (ت٦٢٦هـ)، تح: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

٢٣. المفصّل في صنعة الإعراب: أبو القاسم الزّمخشريّ محمود بن عمر بن محمّد الخوارزميّ(ت ٥٣٨هـ) تح: الدكتور خالد إسماعيل حسّان، مراجعة الدكتور رمضان عبد التوّاب، ط ٣، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠١٤م.

٢٤. من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية: السيد محمد تقي الحكيم، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ،بيروت،ط١، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م

٢٥. نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي: أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله السُّهَيلي(ت ٥٨١ هـ)، تح: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشّيخ علي محمّد مَعوَّض، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١، ١٤١٢ـ ١٩٩٢.

٢٦. همع الهوامع شرح جمع الجوامع: جلال الدين السّيوطيّ(ت ٩١١هـ)، تح: الدكتور عبد العال سالم مكرّم، عالم الكتب، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفديّ(ت٧٦٤هـ)، تح: أحمد الأرناؤوط، ـ تركي مصطفى، دار إحياء التراث، ط١،١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.